

تحليل التعلّم وفق مقاربة اعلامية قيمية.

Learning analysis according to the value Media approach

أحمد بوثلجة¹، مولود خلوط²،

¹ جامعة 20 اوّث 1955 سكيكدة (الجزائر)، ahmedbouteldja777@gmail.com

² جامعة 20 اوّث 1955 سكيكدة (الجزائر)، khaloutmouloud2017@gmail.com

تاريخ القبول:

تاريخ الاستلام:

ملخص:

تسعى الدّراسة الراهنة الإحاطة بأبعاد وأهداف منظومة التربية القيم القيمية والتي نعتبرها من أهم الركائز الأساسية في حقول وميادين علوم التربية.

من خلال مقالنا ارتأينا التطرق إلى حيثيات الممارسات التعليمية التي يجب أن ينتهجها أي مربّ، وذلك بتقديم أهم الممارسات والقواعد التي يجب تنميتها عند المتعلمين عن طريق تحليل التعلّم وفق مقاربة القيم عن طريق المادّة الاعلامية والتي تؤسس بدورها تحقيق الغايات عبر طرائق ووسائل تسهّل بدورها عملية التعلّم.

الكلمات المفتاحية: تحليل التعلّم، القيم، الوسائل الاعلامية، التربية، المقاربة.

Abstract

The current study seeks the coverage of the dimensions and objectives and values of the educational system, which we consider one of the basic pillars in the field of education. Though our essay, de wanted to focus on the merits of the teaching practice that any educator should apply by emphasizing the main rules and practices that should be developed among the learners through analysis of the learning process according to the values' approach and teaching media, which in turn aims at the achievement of the objectives through methods and materials that facilitate the learning operation.

Keywords: learning analysis, values, teaching media, education, approach

المقدمة:

إن المؤسسات التربوية والاجتماعية لابد ان تكون لها مهمها منوطو اليها على غرار باقي المؤسسات الاجتماعية الأخرى والترفيهية لذا فان جل المقاربات التربوية جاءت لتصب فب هذا الهدف والتي قد يكون أدوار فعّالة في تأطير الأطفال علميا واجتماعيا وثقافيا، نحن من خلال مقالنا هذا بتناول الموضوع بيئ من تحليل لاحد أهم الأركان الفعل التربوي الا وه التعلم من خلال باتباع وتبني مقارنة ذات نمط اعلامي للقيم محل التعلم او الت تستهدف بالتنمية من خلال لبعض الوسائط المختلفة والتي سنتناولها بالتحليل وعند المتعلم هذه القيم للقيم وفق تكون طبعا في اطار ما يريد الواقع وهذا بالاعتماد على تحليل لبعض محتويات موارد الإعلامية في عدة وسائط مختلفة عليه وبطريقة منهجية.

الإشكالية:

إن المؤسسات التربوية والاجتماعية والترفيهية من مكّونات عمليات التنشئة الاجتماعية، لما لها من أدوار فعّالة في تأطير الأطفال علميا واجتماعيا وثقافيا، و بهدف إعداد النشء وتأهيله للمستقبل، كي يحمل المشعل ويشارك في بناء مجتمعه، وعلى هذا يمكن القول أنّ مهام دير التربية والنماء القيمي الخاصّة بالأطفال هو توجيه وارشاد عمليات التربية وفق أساليب وأنماط معيّنة من أجل إعداد الأطفال المتعلّمين والمتلقّين للقيم وفق ما يريد الواقع وهذا عن طريق غرس القيم المعرفية والاجتماعية والنمائية والخلقية والانضباطية في نفوس الأطفال، وهذا ما يكسبهم بطبيعة الحال الكثير من التعلّم والتأطير والخبرة، وتقوم عادة جلّ مؤسسات التنشئة الاجتماعية أداء وظائف هامة اتّجاه الأطفال بمختلف فئاتهم العمرية، خاصة فيما يتعلّق بالقيم التي يجب بثّها في عقولهم خاصة في ظلّ التسارع اللامتناهي للحياة والانتشار السريع لوسائل الإعلام والتكنولوجيا، وكذا انشغال الأهل بشؤون الحياة وتعقيداتها.

كما قال غانم (2009) لابدّ أن تتكاثف جهود القائمين عليها من وزارات وصيّة وإطارات ومفتّشين وأساتذة ومدرّسين ومؤطّرين وعمّال ومنشّطين وذلك من أجل إنجاح عمليات المنظومة القيمية لأطفالنا في المجتمع وتحقيق مبتغى الاستدامة القيمية مستقبلا وهذا كله لضمان تربية الأجيال الصاعدة على القيم الفاضلة وتعزيزها في نفوس المتعلمين، كي يتمسّكوا بها ويمضوا معها قدما إلى برّ الأمان والنجاح ومن ثمة يتمّ الحفاظ على البناء العام وتسيير الواقع المعاش بكل سلاسة واتّفاق (غانم، 2009، ص37).

وفي مقالنا هذا بالاعتماد على تحليل لبعض محتويات موارد الإعلامية في عدة وسائط مختلفة والت يمن شأنها ان تقدم لنا قراءة ومعطيات لجملة الرسائل و التربية التي تحملها هذه الوسائط وكذا القيم التي تنمى بالمقابل من الاجل استثمار هذه الوسائط بطريقة اكثر فاعلية لتقيق الكفاءات و التعليمات المراد اكسابه للمتعلّم كمقاربة تعليمية هادفة و بطريقة منهجية، فما هي هذه الوسائل والطرائق المتبعة من اجل بلوغ هذه الأهداف؟

وسائل الاعلام واسقاطاتها على القيمة عند المتعلمين:

تعد أبرز الإسقاطات القيمة لوسائل الاعلام التي لها علاقة وطيدة بعمليات التنشئة الاجتماعية لدى الأطفال عموما و المتعلّمين ككل و التي ينبغي حضورها في جلّ أماكن و فضاءات التربية انطلاقا من دور الحضانة و المدارس و دور الثقافة و المنتجعات السياحية و مخيمات الأطفال الترفيهية و دور الأطفال عموما و عليه وفي هذا السياق تبرز المقاربات القيمة للتعلّم من قبل الباحثين و المربين في مجال علوم التربية و مجال الاعلام التربوي ، محاولين بذلك اسقاط أهميّة المقاربات القيمة الاعلامية في فضاءات التربية و التعليم و عليه إنّ لوسائل الاعلام تأثيرا كبيرا على الأفراد، يفوق تأثير معظم مؤسسات التنشئة الاجتماعية إذا لم تعمل عملها على أكمل وجه، و ذلك لما تسببه الوسائل الإعلامية غير الهادفة في انحدار الحضارات و يرجع "بن جامين سبوك" (ص 461) ذلك الانحدار المزعوم في الأخلاقيات، و التي ينوح الكثيرون من أجلها و مردّ ذلك طبعا إلى وسائل الاعلام ، لكن إنّ الواقع يدعونا أن لا نخاف من وسائل الاعلام خاصة في تعاملها مع الأطفال و هذا لسبب وجيه : هو أنّ كلّ جيل يميل إلى ما يستهويه من مظاهر التسلية و الفن و هم يعتبرون أنّ كلّ الملامح الفنيّة و الإبداعية التي صادفتهم في صباهم بريئة و تستحق الذكر، و لقد دأب الإنسان منذ القدم على حبّ الأصيل من الأشياء كالأعراف و القيم و المثل التي تعايش و ترعرع في أحضانها، فبالتالي فالمربّون يخشون على أطفالهم من كل جديد.

وعلى كل حال تملك وسائل الاعلام سلطة بالغة في تعاملها مع مضامين ومحتويات الإعلام المقدم للمتعلّمين والأطفال عموما.

سينما الأطفال:

السينما ليست فناً و لغة و وسيلة اتصال فقط ، بل هي كذلك مؤسّسة صناعية قائمة بذاتها، حيث تعدّ من الدوافع المحرّكة للأطفال وثقافتهم في أي مجتمع إنساني و إذا كانت الأسس البشرية مختلفة عن بعضها البعض ، فإنّ اللغة السينمائية هي لغة واحدة وعالمية و أحسن مثال على ذلك أفلام "تشارلي شابلن" الصامتة والتي استوعبت مضامينها كل المشاهدين عبر مختلف أرجاء العالم، وقد ظهرت سينما الأطفال على أساس إنتاج أفلام الكرتون والرسوم المتحركة والتي استمدت من "الظل الصيني"، لكن يبقى الأمريكي "والت ديزني" المخرج الذي اقترن اسمه بعالم الرسوم المتحركة والتي نالت إعجاب الأطفال عبر العالم مثل رسوم "ميكي ماوس" و "بياض الثلج و الأقزام السبعة" و "سندريلا". (ابراكن، ص171).

وانطلاقاً من التوطئة السالفة تأتي السينما في مرتبة متقدمة بالنسبة للوسائط التي يفضلها جمهور الأطفال، ويتقبّلونها بمختلف فئاتهم العمرية، إذ تنصّب على مشاهدة الأفلام السينمائية سواء عرضت في قاعات السينما أو التلفزيون أو في الكمبيوتر وتقوم السينما بدور هام في مجال أدب وثقافة الأطفال من خلال الاعتبارات القيمية التالية:

- إكساب الأطفال الخبرات المتنوعة وتحصيل المعارف المختلفة من خلالها وتنمية الثقة بالنفس وإثارة الاهتمام مما يساعد الصغار على تنمية قدراتهم الإبداعية والطاقة الخلاقة.
- إمكانية مساعدتهم لمواجهة المواقف الاجتماعية المختلفة وهذا كي يصبحوا قادرين على مواجهة والتكيف مع مختلف المواقف والمشكلات التي تواجههم ومساعدتهم على الارتقاء بالأذواق الفنية والإبداعية.
- العمل على توسيع خيال الأطفال وتعلم وإدراك المثل العليا، خاصة إن لامست أحاسيسهم وإنسانيّتهم

كما وتعمل السينما من أجل التنفيس عن المكبوتات جراء الحياة الروتينية المألوفة، وفي بلادنا هناك شبه انعدام لسينما الأطفال حالها حال سينما الكبار، مع إنتاج يكاد ينعدم لأفلام الكرتون والأفلام الخاصة بعالم البراءة، وهذا ما يجعل الكبار والصغار في مجتمعنا يحثّون إلى ذلك الفضاء، وعليه يجب تفعيل الحديث عن ضرورة بناء وخلق سينما الأطفال في مجتمعنا وبخصوصية ثقافية محلية من أجل القضاء على عناصر الاستهلاك الثقافي الأجنبي، ومن أجل بناء سينما خاصة للأطفال يجب توافر عدة من النقاط:

- أن تكون منظومة قيّمة وبسيطة ينطلق فيها العمل السينمائي مع وضع أبعاد معرفية برؤية ثقافية حتى تكون مصدر من مصادر التربية والمعرفة والآداب.
 - ألا تحتوي على مشاهد لا تتفق وقيم مجتمعنا ولا تحمل أنواع العنف والجريمة.
 - أن يحتوي الفيلم على أسس سليمة، مثل حب الوطن والتعاون والصدقة والتضامن الإنساني وأن تكون له رسالة هادفة تتناسب مع عمر الأطفال.
- ولدى فمن المهم على المربين الاهتمام بهذا المجال ومصاحبة واختبار أنواع الأفلام وشرحها لهم إذا دعت الضرورة إلى ذلك، ومن هذا الأساس يجب على الجهات الوصية تكريس الأفلام الخاصة بالأطفال وتفعيلها على أرض الواقع، هذا لما تحمله من معان تثقيفية وتأطيريه، والتي تهدف إلى ترقية شخصية المتلقين واثبات هويّاتهم التربوية والتعليمية والتثقيفية.

مسرح الأطفال:

المسرح بشكل عام فن من فنون الأدب والتسلية ، يؤدّي أمام المشاهدين وهو فنّ يترجم فيه الممثلون فوق خشبة نصوصا مكتوبة تحوّل إلى عرض تمثيلي على الركب ، وتدرّج العروض من التسلية الخفيفة والكوميديا إلى المواضيع الجادّة وجاء المسرح إلى الفضاء العالمي من خلال "المسرحية الأخلاقية" في القرن 15 ميلادي، والتي كانت جلّ موضوعاتها تدور حول صراع الخير والشر من أجل خلاص الروح الإنسانية (البكري، 2003، ص 03)، وهذا ما جعل المسرح منذ إرهاباته الأولى يبحث عن ترك الأثر في نفوس المتفرجين ، و بالتالي دائما ما يسعى إلى زرع القيم والمعايير ، ونظرا لتعدّد أنواع المسرح، احتاج الأطفال عموما إلى عالم خاص بهم، تمثّل في مسرح الأطفال لكونه جزءا لا يتجزأ من عملية التربية ذاتها.

وجاء أول مسرح للأطفال عام 1953 بالولايات المتحدة الأمريكية بهدف تنمية ثقافة الأطفال وتطوير قدراتهم على التعبير ورفع مستوى التذوق الفنّي لديهم وتعليمهم فن التمثيل والارتجال وتمكّن الأدوار والشخص (مرعي، 2002، ص 16).

ولقد اعتقد الشخصية العالمية "مارك توين" بأنّ مسرح الأطفال هو من أعظم مكتشفات القرن 20 وأن قيمته التعليمية كبيرة وهو أقوى معلّم وخير دافع نحو السلوك الطيّب والقويم (مرعي، 2000، ص 21)، والملاحظ من كلام "مارك توين" أنّه استحسّن هذا المجال لماله من تأثير في النفوس البريئة، والتي تغرس في عقولهم وأذهانهم القيم النبيلة وتدفعهم إلى الالتزام بها، خاصة إذا تناولت مضامين المسرحيات أو التمثيليات سير العظماء والمشاهير وما قدّموه لتنوير الإنسانية.

ويرتبط معنى "التمثيل الركي" في أذهان البعض على أنّه وسيلة إعلامية تقتصر على الترويح والتسلية، وهذا الفهم قاصر بطبيعة الحال لأنّ التمثيليات هي اتصال فعّال للتعبير عن فكرة أو مفهوم أو شعور معين، وهي تعتمد في صميمها على التثقيف والتأثير والنوعية، وبعث القيم الفاضلة، إلى جانب الترويح والتسلية، وإنّ مسرح الأطفال واقع لا بدّ منه في عالمنا اليوم، ومن الضروري وجود مسارح خاصة بالأطفال حتى على مستوى المدارس لأنّها ضرورة ملحة تحتاج إلى تكوين الفرق المسرحية المؤهلة والاهتمام بها، لما لها من دور كبير في تنمية التفكير وتطوير مهارات الاتصال والحصيلة اللغوية والثقافية، ويعتبر مسرح الأطفال من أهم وسائل ثقافة الطفل حيث يجمع بين أكثر من شكل من أشكال الأدب كالقصة المسرحية و الموسيقى والأغنية وغيرها، وعليه فالمسرح الطفولي على درجة أكبر من الأهمية بالنسبة للأطفال لأسباب كثيرة:

- أنّه أقرب وسيلة إلى الاتصال المباشر أو المواجهة وهنا تعزيز للثقة والإحساس بالذات، ويدرب الأطفال على كيفية التعامل مع المحيط الثقافي، ويرسخ لديهم حب الفن الراقي، فإذا أردت أن تنظر إلى مجتمع متحضّر فانظر إلى مسارحه، لما له من قدرات تساعد على تنمية التفكير الابتكاري عندهم.

- إثارة انتباه الأطفال وترفيهم وتحريك أحاسيسهم وإدخال عناصر التشويق وطرح الحلول وإشعارهم بقيمة "خرق الانتظار"، مع إعدادهم نحو التطلّع إلى المستقبل عن طريق حاسة النقد منذ الصغر.

- تنمية القيم الخلقية عند المتعلمين من خلال المرجعيات الهادفة والتي لها أبعاد تربوية وتثقيفية وتزويدهم بخبرات حياتية جديدة يكتسبونها من خلال مشاهدتهم لمواقف صراع الخير والشر.

كتاب الأطفال:

صدق من قال: "خير جليس في الأنام كتاب"، فالكتاب بصفة عامة يضم المعارف والعلوم والحكم التي تؤخذ من رفوفه، وكتب الأطفال خاصة لها مميزات جمّة، إذ أنّها تخاطب الدهن، فالطفل وهو يطالع يحاور نفسه، يأخذ ويعطي ويتفاعل مع الكتاب، ومن هنا جاءت اهتمامات الدول المتقدمة بكتاب الأطفال، كونه يساهم في صياغة شخصياتهم وإعطائهم الاحتياجات الأساسية للمعرفة والنمو والتفاعل السليم مع القضايا التي تناسهم وتكشف حياتهم (إسماعيل، 2001، ص 124)، وهذا بطبيعة الحال يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار المراحل العمرية، وما يميّزها من خصائص لغوية وفكرية ونفسية وغيرها، ناهيك عن ضرورة غرس قيم المطالعة والتصفح في قلوب الأطفال وتخصيص

مكتبات عامة لصالحهم، خاصة مع تنامي الشبكات العنقودية وما يصاحبها من سلبيات في استعمالها كالمواقع الإباحية والشذوذ والموسيقى الصاخبة وأنواع التذوق الهابط الذي يضرب القيم في الصميم ، وفي الجهة المعاكسة نجد كتب الأطفال التي تجمع بين التسلية والفائدة والهوايات والأنشطة العلمية المختلفة، وكذلك الأنشطة الفنية كالقص واللصق والتلوين و الرسم ،ناهيك عن وجود كتب إعلامية محضّة، تحتوي على المعارف والمعلومات عن عوالم الحيوانات والنباتات والطيور والحشرات والحيوانات المنقرضة وغرائب الطبيعة وعجائب الدنيا،ليكتسب الأطفال منها قيما معرفية وتعليمية .

أمّا فيما يخص ما يتعلّم الأطفال من الكتب: متعة القراءة والمطالعة وانماء المهارات اللغوية، وهي عمليات مزدوجة بين الرموز والدلالات وبين القارئ فكريًا وعقليًا وبصريًا، حيث تحدث التفاعلات مع المادة المقروءة وتتحول إلى أنماط سلوكية، توجّه الفرد بشكل مباشر وتعزّز خبراته (عليوات، 2007، ص 188).

ومن خلال الطرح أعلاه لا يمكننا البتة إهمال دور الأسرة في تنمية الميول القرائية للأطفال، حيث توجد الكثير من المتغيّرات داخل الأسرة التي تؤثر على ذلك، مثل مستوى تعليم الوالدين وعدم اهتمام الأسرة بالقراءة ومدى توفر القصص والمجّلات في المنزل، وطرق استثمار أوقات الفراغ، وما يتعرّض له الطفل من وسائل الإعلام والاتصال.

الصحف ومجّلات الأطفال:

الصحافة بصفة عامة وسيلة مهمة من وسائل الاتصال في المجتمعات الإنسانية المعاصرة، وهي من أكثر الوسائل شيوعا وانتشارا، ومن تمّ يفترض أن تكون الأكثر تأثيرا في صياغة آراء الأطفال وبلورة أفكارهم وبناء تصوراتهم وتوجيه سلوكياتهم، ويتوقف نجاح المادة الصحفية الموجّهة للأطفال على مدى توافر القدرة على إعدادها، والقدرة على تحويلها إلى موضوعات نابضة بالحياة والجاذبية ثم تحويلها إلى لوحة فنية ذات أبعاد جمالية وفنية تتناسب مع استعدادات الأطفال ،وتيسّر لهم فعل القراءة ،وتنمّي قابليتهم على التذوّق الفني، على أن يتم اختيار المادة الصحفية وإخراجها وفقا للمعايير الفنية و السيكلوجية و الفيسيولوجية التي تناسب المراحل العمرية الناشئة، ولكي تحقق هذه المادة فاعليتها ،فإنّها يجب أن يستمد موضوعاتها من بيئة الأطفال وواقعهم وقيم مجتمعيهم، وتعبر عن مطالبهم، وأن تنطوي على العديد من الألوان الأدبية كالقصة، والمقالة، والتحقيق، و الحديث والصور المعبرة، والألغاز، دون إقحام هذه المواد بطريقة منقّرة وأسلوب جامد غير مناسب لطبيعة الأطفال وتكوينهم الجسدي والنفسي ،مع مراعاة تجنب الأعمال التي تؤسس لشحنات العنف والقتل وسفك الدماء والتطرف و الجنس .

ومن المهم جدا أن يتم اختيار المادة الصحفية للأطفال بالتنسيق مع خبراء الصحافة وعلماء التربية والاجتماع والتعليم، لما لديهم من معارف وخبرات في مجال القيم والمثل مع إعداد البرامج التربوية والقيمية حتى يتحقق بذلك غرس القيم والمثل في ذوات الأطفال، وإشعارهم بالرضا والغبطة والسعادة، وهذا ما لا نجده في مجلات الأطفال في العالم العربي لقلّتها، ومعظم محتوياتها تركز على الترجمات الأجنبية المعبّرة عن الشخصيات الكرتونية التي تنتهي إلى الثقافة الغربية.

الأنترنت:

الأنترنت من الوسائل الاتصالية الحديثة، وهو جزء لظاهرة أشمل، تعرف بتكنولوجيات الإعلام والاتصال والإلكتروني، والتي ظهرت في النصف الثاني من القرن الماضي نتيجة التطورات التقنية وله علاقة وطيدة بحياة الأفراد والجماعات، خاصة ونحن في عصر العولمة الفوقية وما يتجلى عنها من مظاهر وتقنيات متعدّدة لا يستطيع الاستغناء عنها فهي بذلك جزء لا يتجزأ من حياة الإنسانية.

وغالبا ما تحصر في مقولة "التقاء السمع البصري مع التكنولوجيا الرقمية والاتصال عن بعد" (العلوي، 2006، ص 16)، كما وقد أحدث الأنترنت في مستوى العملية الاتصالية قفزات متعدّدة من حيث التدفق المعلوماتي والسرعة وتداخل الثقافات واللغات وتغيير في مناهج التعلّم من المدرسة الكلاسيكية إلى التعلّم عن طريق الشبكة العنقودية أنه غير مقتصر على فئة عمرية بعينها، ومن هذا فالأنترنت من حيث علاقته بالأطفال أكثر ضلّاعة من ممّا لا شك فيه يؤثر الأنترنت على الأطفال تأثيرا كبيرا، فقد أصبح جزءا لا يتجزأ من الحياة اليومية، كما التلفزيون والسينما والوسائل الإعلامية الأخرى، وهذا يرجع إلى كونه أكثر خطورة منهم من حيث الاستعمال والتحكّم، خاصة فيما يتعلق بسوء استخدامه، ومن هنا يجب توعية الآباء والأمهات بتأثير استخدام هذه التكنولوجيا على الأطفال، سواء تعلّقت بالإيجابيات والسلبيات، فالأولى تكسب المتعلّمين قيم المعرفة والبحث والتطلّع والتصفّح الإلكتروني وكذلك تعلّم اللغات والمعارف والمناهل العلمية والتعرف على الثقافات الأخرى، أمّا عن الآثار السلبية فهي تضعف الأطفال وتجعلهم يفتقدون للهويات نتيجة تعرّضهم للعديد من الأفكار والمعتقدات الخاطئة والتطرف، ناهيك عن الإتهام المعلوماتي لشاسعة المعلومة التي تحتويها الانترنت وكذلك مظاهر العنف والإباحة والمواقع الجنسية، ولكي ننجو بأطفالنا إلى برّ الأمان والاستفادة من الانترنت قيمة وسلوكا، يجب على المربين:

- وضع مبادئ قيمية في استخدام النث لتكون هناك قدرة على فرض قيود وضوابط في استعماله.
 - مراقبة سلوك الطفل وتفكيره أثناء استخدام الانترنت مع ضرورة تواجد أحد الأبوين أثناء عملية الاستخدام.
 - توفير التربية السليمة للطفل، ليكون بنفسه رقيقا على شخصه.
 - إفهام الأطفال على أن الانترنت وسيلة لا غاية في الحياة.
 - تنمية العلاقات الاجتماعية وخاصة مع جماعة الرفاق للقضاء على العلاقات الافتراضية المزيفة.
- ومن خلال العلاقة بين الوسائل الإعلامية السابقة وتأثيراتها ودورها في غرس وتنمية القيم لدى الأطفال يجعلنا نتحدث بلسان النظرية الحتمية القيمية في الإعلام والاتصال للمفكر الجزائري "عبد الرحمان عزّي" صاحب كتاب: "نحو فكر إعلامي متميّز"، والذي يدعو من خلال آرائه وأفكاره إلى قيمة الرسالة الإعلامية، ويقصد بالإعلام في نظرية عزّي برسائله المختلفة كالصحف و المجلات و الإذاعة و التلفزيون و الانترنت و شبكات التواصل الاجتماعي، ويتّضح لنا أنّ أدبيات الاتصال الحديثة تركز على الوسيلة، وأنّها أساس الثقافة المعاصرة، إلا أنّ مقارنة نظرية الحتمية القيمية تشدّد على أولوية الثقافة على وسائل الإعلام، وهي أهم وأشمل من الوسائل، ويرى "عبد الرحمان عزّي"، أنّ التأثير يكون إيجابيا إذا كانت محتويات الرسائل الإعلامية مرتبطة بالقيم والخصوصية الثقافية للمجتمع، وكلّما كانت الصلة أشدّ بينهما، كان التأثير إيجابيا، والمقابل يكون التأثير سلبيا إذا كانت محتويات وسائل الإعلام لا تتقيّد بقيم المجتمع وتتناقض معها، وكلّما كان الابتعاد عن القيم أكبر كان التأثير السلبي أكبر.
- والقيم عنده في الحتمية القيمية هي الارتقاء والسمو الذي يسعى الإنسان لتجسيده عمليا وارتفع بفعله وسلوكياته، وتمثّل مفاهيم الحتمية القيمية في الإعلام رموزا تشير إلى المنظومة الاتصالية والإعلامية القريبة من البعد الحضاري الذي تنتمي إليه، وأنّه يجب الأخذ من التكنولوجيا العالمية الإيجابيات والسبل التي تطوّر المجتمع الشرقي، وهذا ما يجعلنا للمتمعّن في تأثر "عبد الرحمان عزّي" بمفكر الحضارة "مالك بن نبي" ومن قبله صاحب المقدمة "عبد الرحمان بن خلدون"، ومن بين المبادئ التي ارتكز عليه عزّي ما يلي:
- أنّ القيم والخصوصيات الثقافية يمكن تجسيدها من خلال مضامين الوسائل الإعلامية وأنّ ذلك لا يمثّل حاجزا أمام نشر الثقافة والتكنولوجيا والتحديث.
 - أنّ وسائل الإعلام من مكونات التقدّم الحضاري، خاصّة إن استغلّت أحسن الاستغلال قيميا وفكريا وابتعدت عن أشكال الشائبة والتكديس.

- حقن الثقافة في التقنيات والوسائل وليس تحويل الثقافة إلى تقنية وذلك يتمّ بتوظيف الوسائل والتقنيات بحسب الخصوصيات الثقافية، وفي منظور "عبد الرحمان عزّي" أيضا أنّ الثقافة سلّم يمثّل مستواه الأعلى القيم ويكون مصدرها في الأساس الخصوصية الثقافية وأنّ الإنسان هو الذي يتحكّم في الوسائل.

- ضرورة الارتكاز على المضامين الإعلامية الموجبة والعمل على وضع حصون وقلاع أمام القيم الدخيلة التي تضرب الخصوصيات الثقافية للمجتمعات (عزي، 2009، ص ص 21-30) والتي تسعى إلى تكسير البنيات الثقافية والمؤسسات الاجتماعية وعقول الأفراد والجماعات، خاصّة النشء الصاعد وهذا القول يتماشى مع أقوال أصحاب نظرية المعايير الثقافية كمقولة "والتر ليمان": "إنّ وسائل الإعلام تشكّل الصور الذهنية في عقولنا" (نصر، 2015، ص 166).

وقد اعتمد "ليمان" على فرضيات تؤكّد الدور التأثيري لوسائل الإعلام، وأنها لا تؤثر فقط وبطريق مباشر على الأفراد، ولكنها تؤثر أيضا على الثقافة وحجم المعرفة والمعايير والقيم في المجتمع، وتشكّل الأفكار والتصورات الممكنة والتقسيمات التي يستطيع أفراد المجتمع أن يرسموا اختياراتهم السلوكية.

وقد تحدّث كل من "ملفن" و "دوفلر" عن تأثيرات وسائل الإعلام وعلاقاتها في سلوكيات الأفراد وأكدّ، بأنّ وسائل الإعلام من خلال العروض الانتقائية والتركيز على مضامين هادفة ومقولات معيّنة، تخلّف انطباعات لدى جمهورها، وتشكّل فيما بعد أنماط ثقافية و سلوكيات عملية عامّة نحو الأفكار والأحداث والقضايا المعروضة، كما دعّم "جربنر" الاتجاه السابق عن طريق بحثه في الدور المعرفي للتلفزيون مثلا، والذي خلص فيه الى أنّ المشاهدين الذين تعرضوا بانتظام لموضوعات معينة في التلفزيون كانت إجاباتهم عن أسئلة معرفية معينة حول هذه الموضوعات مختلفة عن آخرين لم يتعرضوا للبرامج بشكل منتظم وكانت محاور الاستبيان حول خطورة "مضامين العنف" في التلفزيون وموضوعات خاصة بعالم الشغل والسكان في أمريكا من خلال إيجابية وسلبية المضامين.

تحليل النتائج:

- نستخلص من تحليل لعملية التعلم للنقاط التي يجب أن تعمل من خلالها وسائل الإعلام في تعاملها مع الأفراد، خاصة فيما يتعلق بتعلّم القيم، ومن بين تلك النقاط نذكر:
- وضع سياسات إعلامية تترجم هوياتنا الثقافية ومعطياتنا الحضارية وتوجهاتنا التربوية على أسس قيم المجتمع وثقافته.
 - تأصيل القيم الإيجابية والإشهار لها إعلاميا بهدف إيقاف أفكار الثقافات الوافدة من المجتمعات الأخرى.
 - تشجيع البحوث العلمية في مجال التعليم والتدريب الإعلامي والاهتمام بالمضامين الإعلامية القيمة التي تبتعد عن مظاهر الفساد الخلقي والردائل المرفقة والمؤلدة للآفات و الأمراض الاجتماعية كالصور الفاضحة والعنف بشقيه اللفظي والجسدي، والعمل على مراقبة العمليات الإعلامية من خلال وسائل الإعلام و بترك الشوائب المسيئة للأطفال.
 - وأخيرا يجب أن تتم العمليات السابقة بكل احترافية وطرق ممنهجة، وفق أساليب وقواعد سلسلة، هدفها تكوين جيل راشد ومشجع بالقيم والمثل، يمتاز بحسن التصرف والسلوك في الحياة حاضرا ومستقبلا.
- ولقد تحدّث "بياجيه" بلسان المقاربة المعرفية أنّ عملية اكتساب القيم ما هي إلاّ عمليات إصدار الأحكام التي ترتبط بنمو التفكير عند الأطفال، ويكتسبون القيم عن طريق محاولات الأفراد تحقيق التوازن في علاقاتهم الاجتماعية وقدراتهم العقلية ، ويعتبر "بياجيه" من رواد هذه المقاربة، ودراساته اهتمت حول "النمو الأخلاقي للأطفال" وطريقتهم في التفكير حول الأسئلة التي تتعلق بالصواب والخطأ وفهمهم للقوانين الاجتماعية ، كما ركّز أيضا في دراساته لطريقة تفكير الأطفال والفروقات العقلية التي يمرّون بها في المراحل المختلفة من النمو، و بالنسبة لعلماء الاجتماع فإنّ قيمة عمل "بياجيه" في مجال النمو العقلي يكمن تركيزه على التفاعل الاجتماعي كأساس لاكتساب المواقف والقيم والاتجاهات الأخلاقية، و كل فرد يتعلّم من أوضاع معيّنة بطريقته الخاصة وتكون نتيجة ذلك عدد لا متناهي من النماذج الشخصية بين مجموعة الأفراد المتفاعلين الذين يتكوّن منهم المجتمع، و من هذا المنظور فإكتساب القيم دافع عقلي، يتجلى وفق القدرات العقلية التي يتعرّف عن طريقها الأطفال القيم والمعايير وفق المكوّن المعرفي للقيمة، وهذا عن طريق إصدار الأحكام والتمييز بين الأشياء والمواقف التي ترتبط بهم ارتباطا وثيقا كالتّمييز بين مستحسنات الأمور ومستقبحتها.

و من هنا قدّم "بياجيه" طرحا تفصيليا حدّد فيه مراحل النمو التي يمرّ بها الأطفال ، و البناءات المنتظمة في نمو تفكيرهم و قيمهم ، و يرى أنّ اكتساب القيم يقوم استنادا على البناء المعرفي ، و أنّ المعرفة نتاج عن دور الوعي و الإدراك و هما من عوامل تكوين القيم و استعمالها ميدانيا، اذ أنّ الأطفال يكسبونها و يطوّرونها عن طريق التفاعل مع الآخرين ، و قد ربط بياجيه النمو الخلقي بالنمو العقلي و العمر الزمني، و اعتمد في تقسيم مراحل نمو الأطفال الى مراعاة النظم القيمية و الاجتماعية السائدة و بمعية "كولبرك" حدّد أسس المعرفة لدى الأطفال و عدّها كما يلي:

- القيم الاستقلالية: أين ينتبه فيها الفرد للقصد من وراء سلوك الآخرين.
- مستوى ما قبل العرف الاجتماعي: وهو المستوى الذي يكون فيه الفرد غير مراعي للقيم والقواعد والعلاقات الاجتماعية السائدة.
- مستوى العرف الاجتماعي: أين يراعى فيه الأطفال القيم والعلاقات الاجتماعية السائدة ويحترمونها ويلتزمون بها.
- مستوى ما فوق العرف الاجتماعي: ويفهم منه أنّ القيم والقواعد والأعراف من صنع الإنسان وبالإمكان تغييرها.

ومن منظور سوسيولوجي آخر، ركّز "ابن خلدون" على النسبية في اكتساب المعايير والمثل والأخلاق والتي تنفرد إلى البحث عن حقائق الأمور، ويتمّ ذلك بفضل العقل، فالأمور والأفعال الاجتماعية تترسّخ بفعل إرادي مقصود، والقصد هنا حسب الفكر "الخلدوني" يتمثّل في الإيرادات التّفسية التي تنشأ في الغالب عن تصوّرات سابقة تحصل في الواقع بالإدراك والتدبّر (الجبوري، 2012، ص 172) و منه يقول "ابن خلدون" في هذا الباب: "علما يتحدّ فيه العقل والعقل وفق الإدراك والتدبّر".

ولقد تحدّث "العلامة" عن سلوكيات النّفس الإنسانية وكيفية إدراكها للأمور، لما أعطى نتيجة قيام الأفكار من تمازج حركة الإنسان الجسمانية وإدراك المعارف من الواقع المحسوس، وكلّ هذا يتمحّص بين قوة الإدراك للمحسوسات وقوّة الشيء المحسوس في النّفس البشرية، كما هو مجرّد عن القوى الخارجية، ومنه إلى فهم المعاني، ثمّ ترتقي كلّها إلى قوّة الفكر، والذي يتفاوت في درجاته، تبعا لتفاوت القدرة الإنسانية والتي قسّمها "ابن خلدون" إلى ثلاث مراتب:

- الأولى: تختص عامّة النّاس الذين يتحصّلون على المعارف من خلال مدركاتهم الحسيّة.
- وثانيها: التي تخصّ العلماء والأولياء، حيث الاتّساع في نطاق الإدراك.
- وثالثها: المفطورة والمؤيدة من الأفق الأعلى (الله)، وهي مرتبة الأنبياء -عليهم السلام-.

على العموم ومن خلال الإرهاص السابق عند "ابن خلدون" على ربط الفكر بالواقع الذي يميّز السلوك الاجتماعي في المجتمعات التي تتمثل على أساس العادات والأعراف والتقاليد والقواعد الاجتماعية، فالإنسان الخلدوني هو الإنسان الخاضع للعوائد الاجتماعية التي تغرس في نفوس الأفراد، إمّا خلقاً، أو ملكة أو عادة أو طبيعة أو جبلة، وهي بحسب نظرنا القيم والمعايير التي تحقّق التماسك الاجتماعي وتصبح قوّة القاهرة يصعب مقاومتها، وبالتالي تستحكم الحضارة وتشيد المصانع والعمران، وكل هذا يتجلى عن طريق منّة العقل وحسن السير في اختيار السبل والمثل العليا التي يركّز عليها المتعلّمون وفق طبيعة القيم والخصوصيات السوسيوثقافية.

فلقد رأى "أصحاب مقاربة التعلّم الاجتماعي" (غانم، 2009، ص 34) أنّ تعلّم القيم يتمّ عن طريق الملاحظة، ورأى كل من "دولارد" و "ميلر" أهميّة في تعلّم القيم عن طريق التّقليد والمحاكات خاصّة فيما يتعلّق بالقيم المرغوبة، والتي يتحصّل عليها الأفراد من احتكاكاتهم في المجتمع وخبراتهم وهذا ما يؤدي بهم إلى التطبيع الاجتماعي كنمط تعليمي يساعد الأفراد على أداء أدوارهم في المجتمع بكل فخر وثقة.

أما "باندورا" و "ولترز" يريان أنّ تعلّم القيم يتمّ عن طريق الملاحظة، فالأفراد يتعلّمون من خلال اتّجاهات الآخرين ومشاعرهم وتصرفاتهم وسلوكياتهم وقد وضع "باندورا" عملية تعلّم القيم عن طريق التّالوث التّالي:

- يتعلّم الأطفال من النماذج الإنسانية المفضّلة لديهم خاصة في الأشياء التي لم يختبرها من قبل.

- ظهور استجابات في حصيلة المتعلّم بالملاحظات عن طريق سلوكيات الغير واسترجاعه لاستجابات مشابهة لسلوك النّمودج المعايين.

- عملية الكف والتّحرير، أي الكف عن السّلوّكيات المنبوذة التي يقوم بها الآخرون وتحرير القيم المرغوب فيها.

خاتمة:

سعى بحثنا هذا من خلال تحليل عملية التعلّم في الأخير والتي كانت غالبا ما تكون بالأساليب التّربوية التي يمكن استخدامها في تنمية القيم المستهدفة من المنهاج المتعلمين فعلى المربيّين والمعلّمين وكلّ من له صلة بتربية الأطفال وتعليمهم الاختيار و بناء مواقف وتبنيها قدر المستطاع، لأنّ كلّ واحدة من الأساليب لها دور فعّال في تحقيق الهدف المنشود والمبتغى المطلوب، ألا وهو اكتساب القيم وتعلّمها لدى المتعلمين سواء ا في مادة واحدة او جميع المواد لذلك هل نستطيع تحقيق ذلك في مجتمعتنا.

التهميش والمراجع:

1. إسماعيل، محمود حسن.(2001). الاعلام وثقافة الطفل. القاهرة: دار الفكر العربي.
2. البكري، وليد (2003) موسوعة أعلام المسرح والمصطلحات المسرحية. عمان. دار أسامة.
3. الجبوري، شفيق إبراهيم(2003). علم الاجتماع المعرفة عند ابن خلدون. عمان، دار غيداء.
4. العلوي، شوقي،(2006) رهانات الانترنت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، تونس.
5. زرهوني، الطاهر ، (د.س)التعليم في الجزائر قبل وبعد الاستقلال. ، دار مو للنشر. الجزائر.
6. سبوك، بنجامين،(د.س) دليل الوالدين لتنشئة الأطفال من الميلاد حتى المراهقة. نهضة مصر للنشر والتوزيع. القاهرة.
7. عزي عبد الرحمان،(2001). نظرية الحتمية القيمية، دار المتوسطة للنشر. تونس.
8. علي غانم، شمس،(2006). بناء النظرية في علم الاجتماع التربوي. دار الكتاب الحديثة. القاهرة.
9. عليوات، محمد عدنان،(2007). تعليم القراءة لمرحلة رياض الأطفال والمرحلة الابتدائية، دار المسيرة، عمان.
10. محمود، ابراقن (د س)، ماهي السينما، منشورات المبرق الجزائر.
11. مرعي، حسن،(2000). المسرح التعليمي، ، دار البحار. بيروت.
12. مرعي، حسن.(2002) المسرح المدرسي، مكتبة الهلال. بيروت.